الثانية/قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100][1].

والمعنى: أو لم يتبين ويتّضح للناس الذين يَخْلُفون غيرَهم في سكنى الأرض ووراثتها بعد إهلاك الأقوام الآخرين قبلهم: أنَّ الله لو شاء أصابهم وعذّبهم بذنوبهم وأعمالهم السيئة، كما عذّب أمثالهم ممن قبلهم، فإنْ لم يهلكهم الله بعذاب الاستئصال ختم على قلوبهم أو طبع عليها، فلم تعد تسمع الموعظة والتذكير سماع تدبُّرٍ وقبول، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

17- قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 86-88].

هذه آياتٌ مُوجَّهةٌ للنبي ﷺ أصالةً، وأحسبُ أنَّ شدة اللهجة في الآيات لكي تُوجِّه الأمة طاقتها نحو الحق بقوة، وحتى لا يَضلَّ أهل الحق في أزقّة الباطل وموالاته ومظاهرته، ويحزنُني أنَّ هناك متدينين لم يُشرِّفوا الإيمان بسلوكهم، ولم يُحقِّقوا العدالة التي أُمروا بإقامتها، ولم يدافعوا عن الحق الذي أُمروا بنصرته، واكتفوا برفع شعار التوحيد نظرياً فقط، وهذا من الإرجاء الشائع من أمدٍ بين جماهير المسلمين، حيث يرى الكثيرون أنَّ العمل نافلة، ومادام المرء مؤمناً بالله فهو ناجٍ مهما فرَّط أو قصَّر!، وقد هدَّ هذا الفكر دولة الإسلام من قرون، والحقُّ أنَّه لن تعود للمسلمين حضارتُهم الأولى إلَّا بالإيمان والعمل معًا.

(1) {لا يَسْمَعُونَ}: أي لا يقبلون، ومنه سمع الله لمن حمده... تفسير العز بن عبد السلام (1/ 494).

(2) مستفاد من التفسير الوسيط للزحيلي (1/ 699).